المؤتمر الدولي للغة العربية وآدابها بمكة المكرمة - فندق هيلتون مكة للمؤتمرات
خلال الفترة ١٣-١٥ جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ

# دلالة النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في القرآن الكريم وأثره على التفسير

د. محمد بن سعيد بن أحمد الزهراني

إدارة تعليم منطقة الباحة

m.s.k.z@hotmail.com

**ملخص الدراسة**

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أما بعد:

فهذه دراسة وصفية، قائمة على الاستقراء والتحليل والاستنتاج، وتبحث في **دلالة النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في القرآن الكريم وأثره على التفسير**؛ إذ إن الأصلَ في النعت مطابقة منعوته، إلا أن المنعوت إذا كان جمعًا لغير العاقل؛ جاز في نعته المطابقة في العدد، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ **أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ**﴾[آل عمران:٢٤]، أو عدم المطابقة، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ **أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ**﴾[البقرة:٨٠]، وكذلك من قواعد اللغة العربية؛ أن الأصلَ في الضمائر مطابقتُها لما تعود عليه، إلا أن جمع ما لا يعقل؛ جاز في الضمير العائد عليه مطابقتُه في العدد، كقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ **أَشۡهُرٞ** مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ **فِيهِنَّ** ٱلۡحَجَّ﴾ [البقرة:١٩٧]، وعدم مطابقته كقوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ **ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا** بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران:١٤٠]، **وهذا ما يراه أهل اللغة ظاهرًا في كتاب الله، وفي كلام العرب، ولا خلاف بينهم في جواز ذلك؛ ولكن الخلاف بينهم يكمن في تأويل وتفسير تلك الظاهرة**، فكانت هذه الدراسة في البحث عن تفسير هذه الظاهرة، وما العلة في إفراد وجمع نعت جمع ما لا يعقل والضمير العائد عليه، وما لذلك من دلالات وأثر على تفسير القرآن، وقد شملت الدراسة مئةً وإحدى وستين كلمةً من جموع ما لا يعقل في القرآن الكريم؛ جاءت منعوتة، أو عاد عليها الضمير، أو جاءت منعوتة وعاد عليها الضمير

معا، وذلك في ثلاثمئة واثنين وخمسين موضعا في القرآن الكريم، وجاءت هذه الدراسة بعد المقدمة، في أربعة فصول، على النحو التالي:

**** الفصل الأول/ ما جاء منعوتًا من جمع ما لا يعقل في القرآن.***

حيث ورد في القرآن الكريم من جموع ما لا يعقل إحدى وخمسون كلمة، جاءت منعوتة في ستة وثمانين موضعا.

**** الفصل الثاني/ ما عاد عليه الضمير من جمع ما لا يعقل في القرآن.***

حيث ورد في القرآن الكريم من جموع ما لا يعقل ثلاثٌ وتسعون كلمة، عاد عليها الضمير في مئتين وخمسة وأربعين موضعا.

**** الفصل الثالث/ ما جاء من جمع ما لا يعقل في القرآن منعوتا وعاد عليه الضمير معا.***

ورد في القرآن الكريم من جموع ما لا يعقل سبع عشرة كلمة، جاءت منعوتة، وعاد عليه الضمير معا، وذلك في واحد وعشرين موضعا.

**** الفصل الرابع/ أثر دلالة النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في تفسير القرآن.***

- وبعد دراسة هذه الكلمات وتحليلها، توصل البحث إلى أبرز النتائج الآتية:

**أولا / النتائجُ المتعلقةُ بعود الضمير على جمع ما لا يعقل:**

**خلاصتها**: أن الضميرَ العائدَ على جمع ما لا يعقل يأتي: مفردًا مؤنثًا، وجمعًا مؤنثًا، وجمعًا مذكرًا، ولكلٍ من ذلك دلالته؛ فإذا عاد الضمير بصيغة المفرد المؤنث على جمع ما لا يعقل؛ فإن جمع ما لا يعقل يدل على الكثرة مطلقا، أيا كانت صيغة الجمع، وإذا عاد بصيغة الجمع المؤنث؛ فإنه يدل على قلة جمع ما لا يعقل، أو إنزال ما لا يعقل منزلة العاقل مجازا، وإذا عاد بصيغة جمع المذكر العاقل؛ فإنه يكون لإنزال جمع ما لا يعقل منزلة العاقل حقيقةً ندركها، أو للتهكم والاستخفاف.

**ثانيا / النتائج المتعلقة بنعت جمع ما لا يعقل:**

**خلاصتها**: أن نعت جمع ما لا يعقل يأتي مفردًا وجمعًا، ولا يأتي إلا مؤنثًا، ولكل منهما دلالته؛ فإذا نعت جمع ما لا يعقل بمفرد فإنه يدل على الكثرة مطلقا، وهذا مطرد في القرآن، وأما إذا نعت جمع ما لا يعقل بجمع؛ فإنه يدل على القلة، أو للفت الانتباه إلى أهمية معنى النعت، وصرف النظر عن قلة أو كثرة.

وختاما نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وإن يزدنا علما وفقها وتقوى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

## المقدمة

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا﴾، أنزله بلسانٍ عربي مبين، تحدى به الإنس والجن أجمعين، فعجزوا عن مجاراته، ولا غرو!؛ فهو كلام اللطيف الخبير، لائقٌ بمقامه، ملائمٌ لجلاله، جاء في قمةِ الإعجاز، وذروةِ البيان، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وأفصح الخلق أجمعين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين. أما بعد ...

فلقد بهر القرآنُ الكريمُ العقولَ بما يحويه من وجوه الإعجاز، فكل لفظة فيه قد وُضِعت موضعًا سديدًا، فبلغَ في ذلك الغاية؛ جُملٌ قليلةُ المباني، عظيمةُ المعاني؛ فلو أردتَ أن تضع حرفًا مكان حرف؛ لتغير نظمه الفريد، ولما تأدى المعنى المراد، **يقول ابن عطية: "كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أديرَ لسانُ العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"**[1].

ومن تلك المعاني وذلك الإعجاز؛ ما يُلحظ في دلالة النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل، وما لتلك الدلالة من أثر على التفسير؛ فمن قواعد اللغة العربية؛ أن الأصلَ في الضمائر مطابقتُها لما تعود عليه في العدد والجنس، إلا أن جمع ما لا يعقل؛ جاز في الضمير العائد عليه مطابقتُه في العدد، كقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾[البقرة:١٩٧]، وعدم مطابقته، كقوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠] .

وكذلك من قواعد اللغة العربية؛ أن الأصلَ مطابقةُ النعتِ منعوتَه في النوع: التذكير والتأنيث، وفي العدد: إفرادا وتثنية وجمعا، إلا أن المنعوت إذا كان جمعًا لغير العاقل؛ جاز في نعته المطابقة في العدد، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ [آل عمران:٢٤]، أو عدم المطابقة، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ﴾ [البقرة:٨٠]، **وهذا ما يراه أهل اللغة ظاهرًا في كتاب الله، وفي كلام العرب، ولا خلاف بينهم في جواز ذلك؛ ولكن الخلاف بينهم يكمن في تأويل وتفسير تلك الظاهرة، فالمتتبع لآراء وأقوال علماء اللغة الذين تكلموا في تأويل وتفسير تلك الظاهرة؛ يجد أنهم اختلفوا على أربعة أقوال، هن:**

**** القول الأول:***

أن الأفصح في صيغ جموع القلة لما لا يعقل المطابقة مطلقًا في النعت والضمير، وفي صيغ جموع الكثرة الإفراد، ولو عُكِس العمل لجاز، فتقول: (الأجذاع انكسرن ومنكسرات)، (الجذوع انكسرت ومنكسرة)، ولو قلت: (الأجذاع انكسرت ومنكسرة)، (الجذوع انكسرن ومنكسرات)؛ لجاز هذا الأسلوب. يقول الزمخشري في المفصل:

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ( ١/ ٥٢)

"وعن أبي عثمان المازني العرب تقول: (الأجذاع انكسرن) لأدنى العدد، و(الجذوع انكسرت)، ويقال لخمس: (خلون)، ولخمس عشرة: (خلت)، وما ذاك بضربة لازب"(٢)

- ***وممن قال بهذا القول كذلك:*** ابن يعيش (٦٤٣)، ابن مالك (٦٧٢)، الرضي (٦٨٦)، أبو حيان (٧٤٥)، السمين الحلبي (٧٥٦)، الأشموني (٩٠٠)، السيوطي (٩١١)، الصبان (١٢٠٦)، الخضري (١٢٨٧).

- ***الإشكالات الواردة على هذا القول:***

١. ورد في القرآن من صيغ جموع القلة ما جاء نعتُه مفردًا، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ **ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ** ٨﴾[طه:٨]، وكذلك عاد عليه الضمير مفردًا، كقوله تعالى: ﴿أَلَهُمۡ **أَرۡجُلٞ** يَمۡشُونَ **بِهَآ**ۖ أَمۡ لَهُمۡ **أَيۡدٖ** يَبۡطِشُونَ **بِهَآ**ۖ أَمۡ لَهُمۡ **أَعۡيُنٞ** يُبۡصِرُونَ **بِهَآ**ۖ أَمۡ لَهُمۡ **ءَاذَانٞ** يَسۡمَعُونَ **بِهَاۗ** قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾[الأعراف:١٩٥]، علمًا أنه يجوز في بعضها الجمع بصيغ جموع الكثرة، مثل: أيد وأياد - أعين وعيون.

٢. ورد في القرآن من صيغ جموع الكثرة ما جاء نعته جمعًا، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا **رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ** وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ٢٧﴾[المرسلات:٢٧]، وكذلك عاد عليه الضمير جمعًا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا **ٱلۡجِبَالَ** مَعَهُۥ **يُسَبِّحۡنَ** بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ١٨﴾ [ص:١٨] .

**** القول الثاني:***

أنَّ الاسمَ إن كانَ مُذكرًا فَالأصلُ في صفةِ جَمعهِ التاء، يُقال: (كُوزٌ وَكِيزَانٌ مَكْسُورَةٌ) وَ(ثِيَابٌ مَقْطُوعَةٌ)، وإن كان مؤنثًا كان الأصلُ في صفةِ جمعهِ الألفَ والتاءَ، يُقال: (جَرَّةٌ وَجِرَارٌ مَكْسُورَاتٌ). فَجُعِل هذا أصلًا، مراعيًا بذلك اللفظ من حيث التذكير والتأنيث، يقول الكرماني في البرهان " قَوْله: ﴿إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ وَفِي آل عمرَان ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ لِأَن الأَصْل فِي الْجمع إِذا كَانَ واحده مذكرا أَن يقْتَصر فِي الْوَصْف على التَّأْنِيث نَحْو قَوْله: ﴿فِيهَا **سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ** ١٣ **وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ** ١٤ **وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ** ١٥ **وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ** ١٦﴾ [الغاشية]، وَقد يَأْتِي (سرر مرفوعات) على تَقْدِير (ثَلَاث سرر مَرْفُوعَة)، و (تسع سرر مرفوعات)، إِلَّا أَنه لَيْسَ بِالْأَصْلِ، فجَاء فِي الْبَقَرَة على الأَصْل وَفِي آل عمرَان على الْفَرْع" (٣)

- ***وممن قال بهذا القول كذلك:*** الرازي (٦٠٦)، ابن الزبير (٧٠٨)

(٢) المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ( ٢٤٢)
(٣) أسرار التكرار في القرآن المسمى (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)للكرماني ( ٧٦)

***ـ الإشكالات الواردة على هذا القول:***

ورد في القرآن من صيغ جموع الكثرة ما جاء نعته جمعًا، وهو مذكرٌ كقوله تعالى: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ **وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ** ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾[سبأ:١٣]، فـ ﴿قُدُور﴾ جمع (قدر) وهو مذكر وجاء نعته جمعًا بالألف والتاء: ﴿رَّاسِيَٰتٍ﴾، فكيف يفسر هذا على قولهم!؟

**** القول الثالث :***

إن الغالب في نعت جمع ما لا يعقل المذكر أن يكون مؤنثًا مفردًا، وإذا أرادوا التنبيه على كثرة ذلك الجمع أجروا نعته على صيغة جمع المؤنث؛ ليكون في معنى الجماعات، فعلى ذلك يكون في إفراد النعت أنه الغالب، وفي جمعه أنه تنبيه على كثرة الجمع، قال بذلك ابن عاشور في تفسيره ما نصه: " قال أبو حيان عند قوله تعالى الآتي بعده: ﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ **أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾[البقرة:١٨٥]، صفة الجمع الذي لا يعقل تارة تعامل معاملة الواحدة المؤنثة، نحو قوله تعالى: ﴿إِلَّآ **أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ**﴾[البقرة :٨٠]، وتارة تعامل معاملة جمع المؤنث نحو: ﴿**أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖ**﴾ فـ ﴿معدودات﴾ جمع لـ (معدودة)، وأنت لا تقول: (يوم معدودة) وكلا الاستعمالين فصيح ، ويظهر أنه ترك فيه تحقيقًا وذلك أن الوجه في الوصف الجاري على جمع مذكر إذا أنثوه أن يكون مؤنثًا مفردًا، لأن الجمع قد أول بالجماعة والجماعة كلمة مفردة وهذا هو الغالب، غير أنهم إذا أرادوا التنبيه على كثرة ذلك الجمع أجروا وصفه على صيغة جمع المؤنث ليكون في معنى الجماعات وأن الجمع ينحل إلى جماعاتٍ كثيرةٍ، ولذلك فأنا أرى أن (معدودات) أكثر من (معدودة) ولأجل هذا قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ **أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ**﴾[البقرة:٨٠] لأنهم يقللونها غرورًا أو تغريرًا، وقال هنا ﴿مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ لأنها ثلاثون يوماً، وقال في الآية الآتية: ﴿ٱلۡحَجُّ **أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ**﴾ [البقرة:١٩٧] وهذا مثل قوله في جمع (جمل) (جمالات) [المرسلات:٣٣] على أحد التفسيرين وهو أكثر من جمال، وعن المازني أن الجمع لما لا يعقل يجيء الكثير منه بصيغة الواحدة المؤنثة تقول: (الجذوع انكسرت) والقليل منه يجيء بصيغة الجمع تقول: (الأجذاع انكسرن) اهـ . وهو غير ظاهر " [٤].

**ـ الإشكالات الواردة على هذا القول:**

١. ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ **أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ** لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦﴾ [فُصِّلَت:١٦]، والأيام النحسات ثمانية، والثمانية قليلة.

٢. ورد في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ **أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ** فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧]، وأشهر الحج أربعة.

وعلى هذا القول كيف نستطيع تخريج مثل هذه الآيات !؟

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ( ٢/ ١٥٩)

*** القول الرابع :**

أن جمع ما لا يعقل إذا دل على الكثرة؛ جاء نعته مفردًا، وعاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، وإذا دل جمع ما لا يعقل على القلة؛ جاء نعته جمعًا، وعاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا، بصرف النظر عن صيغة الجمع، فالعبرة بدلالة الجمع في السياق لا بصيغته، يقول الفراء في معاني القرآن عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ **فِيهِنَّ** أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [التوبة:٣٦]: "قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ ولم يقل (فيها). وكذلك كلام العرب لِمَا بين الثلاثة إلى العشرة تَقُولُ: (لثلاث ليال خلونَ)، و(ثلاثة أيام خلون) إلى العشرة، فإذا جُزت العشرة قالوا: (خلت، ومضت). ويقولون لِمَا بين الثلاثة إلى العشرة (هنّ وهؤلاء) فإذا جزت العشرة قالوا (هي، وهذه) إرادة أن تعرف سِمة القليل من الكثير. ويَجوز فِي كل واحد ما جاز فِي صاحبه أنشدني أَبُو القمقام الفقعسيّ:

أصبحن فِي قَرْحٍ وفى داراتها ..... سبع ليالٍ غير معلوفاتها

ولم يقل: معلوفاتهن وهي سبع، وكل ذَلِكَ صواب، إلا أن المؤْثَر ما فسَّرت لك."(٥).

- ***وممن قال بهذا القول كذلك:*** الحريري (٥١٦)، ابن جماعة (٧٣٣)

- **الاشكالات الواردة على هذا القول:**

ورد في القرآن جمع ما لا يعقل وفي دلالته الكثرة، وجاء نعته جمعًا، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿**أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖۚ** فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٤]، ورمضان ثلاثون يوما فكيف يكون قليلا!.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا **رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ**﴾ [المرسلات:٢٧] والجبال كثيرة.

**وخلاصة القول:** فيما سبق ذكره من أقوال العلماء في تفسير هذه الظاهرة، أنه يُلحظ ورودُ إشكالات على كل قول، والفيصل في الحكم على تفسير هذه الظاهرة؛ هو الاستقراء الكامل للقرآن؛ لنستطيع من خلاله وصف وتفسير تلك الظاهرة.

- **ظَهَرَت أهمية هذا الموضوع في الأمور الآتية:**

١. ارتباطه بتفسير القرآن، وأنه منطلَقٌ للترجيح فيما اختُلِف فيه تجاه هذه المسألة.
٢. لم تُسبق دراسته من قبل دراسة وافية؛ مع وجود إشكالٍ قائمٍ لم يُحسم.
٣. الوقوف على شيء من مقاصد اللغة العربية وعلل استعمالاتها.
٤. فيه دعوة للتأمل في كتاب الله، وأنه ذو نظم عالي الدقة والفصاحة.

(٥) معاني القرآن للفراء ( ١/ ٣٢٧)

- **أهداف هذه الدراسة:**

١. إيجاد قاعدة وضابط لهذه المسألة وحل الإشكال القائم.

٢. إبراز أثر علة المعادلة في هذا الموضوع، مما يُثبِت أن اللغةَ العربية لغةٌ متوازنة.

٣. الرد على شبهة اختلال نظام المطابقة في القرآن الكريم.

٤. إبراز مظهر من مظاهر بلاغة القرآن، ودقةِ عباراته.

- **أسئلة الدراسة:**

١. هل لاختلاف صورة النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل أثر في المعنى؟

٢. هل هناك اعتبار لصيغة جمع ما لا يعقل في اختلاف صورة النعت والضمير؟

٣. هل هناك أثر لنوع جمع ما لا يعقل - تذكيرا وتأنيثا - في اختلاف صورة النعت والضمير؟

٤. هل لعلة المعادلة أثر في هذا الموضوع؟

٥. هل نستطيع الخروج بضابط يساعد على الترجيح بين أقوال المفسرين؟

- **الدراسات السابقة:**

لم أقف على دراسة علمية وافية لهذه المسألة، ولم أجد حكما قطعيا في المسألة مبنيا على استقراء كامل؛ وإنما وجدت آراء وأقوالا مختلفة ومتفرقة في بطون الكتب.

- **حدود البحث:**

جميع ما نعت أو عاد عليه الضمير من جمع ما لا يعقل في القرآن الكريم كاملا.

- ***خطة البحث وإجراءاته ...***

يقوم هذا البحث على الطريقة الوصفية لهذه الظاهرة، والقائمة على الاستقراء الكامل للقرآن الكريم ثم الاستنتاج، وقد قسمت تلك الكلمات المجموعة إلى ثلاثة أقسام، مراعيًا في ذلك اعتبارين؛ النعت والضمير، دون اعتبار الصيغة؛ وكما هو معلوم أن جمع ما لا يعقل يجمع على صيغ جموع تكسير وجمع المؤنث السالم، فجاء التقسيم التالي:

القسم الأول/ جعلت ما عاد عليه الضمير مع بعضه

القسم الثاني/ ما جاء منعوتًا مع بعضه

القسم الثالث/ وما كان منعوتًا وعاد عليه الضمير - مجتمعين - مع بعضه كذلك.

وبعد جَمعِ وتقسيم الكلمات المرادةُ ظهرت صورة البحث في الآتي:

**** الفصل الأول - ما عاد عليه الضمير من جمع ما لا يعقل في القرآن.***

ورد في القرآن الكريم من جموع ما لا يعقل ثلاثٌ وتسعون كلمة، عاد عليها الضمير؛ في مئتين وخمسة وأربعين موضعا، وجاء ذلك في سبعة مباحث:

**المبحث الأول/ ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا فقط**

ورد في القرآن الكريم سبعون كلمة لما لا يعقل، عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا فقط؛ وذلك في مئتين وثمانية مواضع، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ أَلَهُمۡ **أَرۡجُلٞ** يَمۡشُونَ **بِهَآۖ** أَمۡ لَهُمۡ **أَيۡدٖ** يَبۡطِشُونَ **بِهَآۖ** أَمۡ لَهُمۡ **أَعۡيُنٞ** يُبۡصِرُونَ **بِهَآۖ** أَمۡ لَهُمۡ **ءَاذَانٞ** يَسۡمَعُونَ **بِهَاۗ** قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾ [الأعراف:١٩٥].

**المبحث الثاني/ ما عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا فقط**

ورد في القرآن الكريم ست كلمات لما لا يعقل، عاد عليها الضمير جمعًا مؤنثًا فقط، وذلك في خمسة عشر موضعا، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿تَكَادُ **ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ** مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠﴾[مريم:٩٠].

**المبحث الثالث/ ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، وجمعًا مؤنثًا**

ورد في القرآن الكريم كلمة واحدة لما لا يعقل، عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا، وجمعًا مؤنثًا، وهي كلمة (جبال)، وذلك في أحد عشر موضعًا، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ **وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا** ٣٢﴾ [النازعات:٣٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا **ٱلۡجِبَالَ** مَعَهُۥ **يُسَبِّحۡنَ** بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ١٨﴾.

**المبحث الرابع/ ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، وجمعا مذكرًا**

ورد في القرآن كلمة واحدة لما لا يعقل، عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا، وجمعًا مذكرًا، وهي كلمة (جلود)، وذلك في موضعين؛ الأول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ **جُلُودُهُم** بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا **غَيۡرَهَا**﴾[النساء:٥٦]، والثاني في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ **لِجُلُودِهِمۡ** لِمَ **شَهِدتُّمۡ** عَلَيۡنَا﴾ [فُصِّلَت:٢١].

**المبحث الخامس/ ما عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، وجمعًا مؤنثًا، وجمعًا مذكرًا**

ورد في القرآن الكريم كلمة واحدة لما لا يعقل، عاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا، وجمعًا مذكرًا، وجمعًا مؤنثًا، وهي كلمة ( أصنام )، وذلك في ثلاثة مواضع فقط، نحو قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ **أَصۡنَامٗا** فَنَظَلُّ **لَهَا** عَٰكِفِينَ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ٧٦ **فَإِنَّهُمۡ** عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ٧٧﴾ [الشعراء:٧١-٧٧].

**المبحث السادس/ عود الضمير مفردًا مؤنثًا على أكثر من جمع لما لا يعقل في القرآن.**

ورد في القرآن الكريم اثنتا عشرة كلمة لجمع ما لا يعقل -اجتمع بعضها مع بعض-، وعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا فقط، وذلك في خمسة مواضع، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا **حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ** يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ **أَنَّهَا تَسۡعَىٰ** ٦٦﴾[طه:٦٦].

**المبحث السابع/ عود الضمير جمعًا مؤنثًا على أكثر من جمع لما لا يعقل في القرآن.**

ورد في القرآن الكريم كلمتان لجمع ما لا يعقل، وعاد عليهما الضمير -مجتمعتين- جمعًا مؤنثًا، وهما (السموات - الجبال)، وجاء ذلك في موضع واحد فقط، وهو في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى **ٱلسَّمَٰوَٰتِ** وَٱلۡأَرۡضِ **وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ** أَن يَحۡمِلۡنَهَا **وَأَشۡفَقۡنَ** مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا٧٢﴾[الأحزاب:٧٢].

**** الفصل الثاني - ما جاء منعوتًا من جمع ما لا يعقل في القرآن.***

ورد في القرآن الكريم من جموع ما لا يعقل إحدى وخمسين كلمة، جاءت منعوتة في ستة وثمانين موضعا، وذلك في ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول/ ما جاء نعته مفردًا فقط**

ورد في القرآن الكريم تسع وعشرون كلمة جمعا لما لا يعقل؛ وجاء نعتها مفردًا فقط، وذلك في سبعة وثلاثين موضعا، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَأَكۡوَابّ مَّوۡضُوعَةٞ** ١٤﴾ [الغاشية:١٤].

**المبحث الثاني/ ما جاء نعته جمعًا فقط**

ورد في القرآن الكريم تسع عشرة كلمة جمعا لما لا يعقل، وجاء نعتها جمعًا فقط، وذلك في أربعة وعشرين موضعا، نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا فِيهَا **رَوَٰسِيَ شُمِخَٰتٖ** وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ٢٧﴾ [المرسلات:٢٧].

**المبحث الثالث/ ما جاء نعته مفردًا وجمعًا.**

ورد في القرآن الكريم ثلاث كلمات جمعا لما لا يعقل، وجاء نعتهن مفردًا وجمعًا، وذلك في خمسة وعشرين موضعا، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ **أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ** ﴾[البقرة:٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ **أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ** ﴾[آل عمران:٢٤].

**** الفصل الثالث - ما جاء منعوتًا من جمع ما لا يعقل في القرآن وعاد عليه الضمير.***

ورد في القرآن الكريم من جموع ما لا يعقل سبع عشرة كلمة، جاءت منعوتة، وعاد عليه الضمير معا، وذلك في واحد وعشرين موضعا، مقسمة على ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول/ ما جاء نعتُه مفردا، وعاد عليه الضمير مفردا مؤنثا.**

ورد في القرآن الكريم أربع عشرة كلمة جمعا لما لا يعقل، جاء نعتها مفردًا، وعاد عليه الضمير مفردا مؤنثا، وذلك في ستة عشر موضعا، نحو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ **ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ** فَٱدۡعُوهُ **بِهَا**﴾[الأعراف:١٨٠].

**المبحث الثاني/ ما جاء نعتُه جمعا، وعاد عليه الضمير جمعا مؤنثا.**

ورد في القرآن الكريم كلمتان جمعا لما لا يعقل، وجاء نعتهما جمعا، وعاد عليهما الضمير جمعا مؤنثا، وذلك في ثلاثة مواضع، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ **أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ** فَمَن فَرَضَ **فِيهِنَّ** ٱلۡحَجَّ ﴾ [البقرة:١٩٧].

**المبحث الثالث/ ما جاء نعتُه جمعا، وعاد عليه الضمير مفردا مؤنثا.**

ورد في القرآن الكريم كلمة واحدة جمعا لما لا يعقل، وجاء نعتها جمعا، وعاد عليها الضمير مفردا مؤنثا، وجمعا مؤنثا، وذلك في موضعين، وهي كلمة (آيات)، الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ **ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ** وَمَا يَكۡفُرُ **بِهَآ** إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ٩٩﴾[البقرة:٩٩]، والموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ **ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ** أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[آل عمران:٧].

وهنا ملحظ: وهو أن ما جاء منعوتا من جمع ما لا يعقل عاد عليه الضمير مؤنثا فقط

**** الفصل الرابع – أثر ودلالة النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في تفسير القرآن.***

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول/ أثر دلالة النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في المعنى.**

وجاء ذلك على ثلاثة أقسام:

**القسم الأول/** الأثر المتعلق بعود الضمير على جمع ما لا يعقل في المعنى.

ظهر في هذا القسم من خلال الاستقراء للقرآن؛ أنَّ جمع ما لا يعقل إذا دل على الكثرة فإن الضمير يعود عليه مفردًا مؤنثًا، وإذا دل على القلة أو أُنزل منزلة العاقل عاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا، وهذا مطردٌ في القرآن.

**القسم الثاني/** الأثر المتعلق بنعت جمع ما لا يعقل في المعنى.

لوحظ على نعت جمع ما لا يعقل من حيث أثره على المعنى ما يلي:

١.أن جمع ما لا يعقل إذا دل على الكثرة؛ فإن نعته يكون مفردًا دائمًا.

٢.أن جمع ما لا يعقل إذا دل على القلة؛ فإن نعته يكون جمعًا، ومما جاء مطردًا على هذا المعنى كلمة (السموات) فإنهن لم ينعتن بمفرد أبدًا، والسموات سبع.

٣.أن نعت جمع ما لا يعقل إذا جاء جمعًا؛ فإنه يدل على قلة جمع ما لا يعقل، أو للفت الانتباه إلى ما في النعت من معنى، بصرف النظر عن قلة وكثرة جمع ما لا يعقل.

**القسم الثالث/** الأثر المتعلق بالنعت وعود الضمير - مجتمعين - على جمع ما لا يعقل في المعنى.

لمجيء جمع ما لا يعقل منعوتًا وعاد عليه الضمير معا، ثلاثة معانٍ:

الأول: إذا دل جمع ما لا يعقل على كثرة، جاء نعته مفردًا وعاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، وهذا مطردٌ في القرآن الكريم، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ **ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ** فَٱدۡعُوهُ **بِهَا**﴾[الأعراف:١٨٠].

الثاني: إذا دل جمع ما لا يعقل على قلة، جاء نعته جمعًا، وعاد عليه الضمير جمعًا مؤنثًا، وهذا مطردٌ في القرآن الكريم، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَجُّ **أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ** فَمَن فَرَضَ **فِيهِنَّ** ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ ﴾[البقرة:١٩٧].

الثالث: إذا دل جمع ما لا يعقل على الكثرة، وأُرِيدَ لفت الانتباه والاهتمام بما فيه من معانٍ، جاء النعت جمعًا، وعاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، وهذا فيه اتساع في المعنى، ولم يأتِ ذلك إلا في كلمة واحدة في القرآن، وهي كلمة (آيات)، وجاء ذلك في موضع واحد فقط، وهو في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ **ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ** وَمَا يَكۡفُرُ **بِهَآ** إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ٩٩﴾[البقرة:٩٩].

**المبحث الثاني / أثر دلالة النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في الترجيح بين أقوال المفسرين.**

وجاء ذلك على ثلاثة أقسام:

١. الأثر المتعلق بعود الضمير على جمع ما لا يعقل في الترجيح بين أقوال المفسرين.
٢. الأثر المتعلق بنعت جمع ما لا يعقل في الترجيح بين أقوال المفسرين.
٣. الأثر المتعلق بالنعت وعود الضمير - مجتمعين - على جمع ما لا يعقل في الترجيح بين أقوال المفسرين.

هذا المبحث بمثابة تطبيق لأثر دلالة النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في خلافات المفسرين، والترجيح بين أقوالهم، وسأعرض شيئا منها تحت عنوان مناقشة وتفسير النتائج.

- **خلاصة ما توصل إليه البحث من نتائج:**

بعد التطواف الرحيب في كتاب الله؛ وجمعِ مئةٍ وإحدى وستين كلمةً من جموع ما لا يعقل؛ جاءت منعوتة، أو عاد عليها الضمير، أو جاءت منعوتة وعاد عليها الضمير معا، وذلك في ثلاثمئة واثنين وخمسين موضعا في القرآن الكريم، وبعد دراسة هذه الكلمات وتحليلها، توصل البحث إلى أبرز النتائج الآتية:

***أولا / النتائجُ المتعلقةُ بعود الضمير على جمع ما لا يعقل:***

**خلاصتها:** أن الضميرَ العائدَ على جمع ما لا يعقل يأتي: مفردًا مؤنثًا، وجمعًا مؤنثًا، وجمعًا مذكرًا، ولكلٍ من ذلك دلالته، وإليكم التفصيل:

١. إذا عاد الضمير في القرآن بصيغة المفرد المؤنث على جمع ما لا يعقل؛ فإنه يدل على الكثرة مطلقا، أيا كانت صيغة الجمع، وذلك نحو: (أيد - أرجل - آذان - أعين - أنفس - نفوس - وحوش- عشار - قبور- جبال - نجوم - كواكب - مساجد - بيوت - مساكن - قرى .....)، كلها عاد عليها الضمير مفردا مؤنثا في القرآن كله.

٢. إذا عاد الضمير في القرآن بصيغة الجمع المؤنث على جمع ما لا يعقل؛ فإنه يدل على القلة، أو إنزال ما لا يعقل منزلة العاقل مجازا.

**مثال دلالته على القلة:** كلمة (السموات)؛ لكونها سبعا، فإن الضمير عاد عليهن في القرآن كله جمعا مؤنثا.

**مثال إنزال ما لا يعقل منزلة العاقل مجازا:** كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ **ٱلْأَصْنَامَ** ٣٥ رَبِّ **إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ** كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ٣٦﴾ [إبراهيم]، قال الرازي: "وَاتَّفَقَ كُلُّ الْفِرَقِ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَضْلَلْنَ﴾ مَجَازٌ لِأَنَّهَا جَمَادَاتٌ، وَالْجَمَادُ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا الْبَتَّةَ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا حَصَلَ الْإِضْلَالُ عِنْدَ عِبَادَتِهَا أُضِيفَ إِلَيْهَا كَمَا تَقُولُ: فَتَنَتْهُمُ الدُّنْيَا وَغَرَّتْهُمْ، أَيِ افْتُتِنُوا بِهَا وَاغْتَرُّوا بِسَبَبِهَا"(٦)، والعادة في اللغةِ العربيةِ؛ أَنَّه إذا وُصفَ غيرُ العاقلِ بِصفةٍ تَختص بِالعاقلِ أُجريَ عليه حُكمهُ، فيعود عليه الضمير بصيغة الجمع، كما يعود على جمع العاقل؛ مراعاة للمطابقة.

٣. أذا عاد الضمير في القرآن بصيغة جمع المذكر العاقل على جمع ما لا يعقل؛ فإنه يكون لإنزاله منزلة العاقل حقيقةً ندركها، أو للتهكم والاستخفاف.

جاء ذلك في ثلاثة مواضع، هن:

- **الموضع الأول/** في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ **لِجُلُودِهِمْ** لِمَ **شَهِدتُّمْ** عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢١﴾[فُصِّلَت:٢١]، حيث عاد الضمير جمعا مذكرا للعقلاء، في قوله تعالى: ﴿شَهِدتُّمْ﴾؛ على جمع ما لا يعقل ﴿جُلُود﴾، وهنا فيه دلالة أن شهادةَ الجلود حقيقةٌ وليست مجازا، فناسب عود ضميرِ جمعِ المذكرِ العاقل عليها.

- **الموضع الثاني/** في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ **أَصْنَامًا** فَنَظَلُّ **لَهَا** عَٰكِفِينَ٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ٧٦ **فَإِنَّهُمْ** عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ٧٧﴾ [الشعراء:٧١-٧٧]، وتفصيل هذه الآتي: عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى: ﴿لَهَا﴾؛ على جمع ما لا يعقل ﴿أَصْنَام﴾، وعاد عليها الضمير مرة أخرى جمعًا للمذكر العاقل في كلمة ﴿فَإِنَّهُمْ﴾، والأصنام كثيرة؛ فعاد عليها الضمير مفردًا مؤنثًا في أول هذه الآيات، وهو من كلام مُحاجّي إبراهيم عليه السلام، ثم أنزلها إبراهيم عليه السلام منزلة العاقل استخفافا وتهكما بها وبمن يعبدها، لأنه قبل ذلك عدد لها صفات لا تستطيعها، ذكرها الله في قوله: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ٧٣﴾ فكان ردهم: ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ٧٤﴾ فناسب هنا الاستخفاف والتهكم ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ٧٧﴾ فالموطن هنا موطن حجاج وإلزام.

ويقال مثل ذلك في الموضع الثالث/ في قوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ٥٨﴾ [الأنبياء]، وذلك لإنزالها منزلة العاقل؛ استخفافا وتهكما بها وبمن يعبدها.

(٦) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي( ١٩/ ١٣٦)

- **ملحظ وتنبيه:**

يعود الضمير بصيغة المفرد المذكر على جمع ما لا يعقل؛ لوجود ما يستلزم التذكير، فهو في الأصل ليس عائدا على جمع ما لا يعقل؛ وإنما على ما استلزم التذكير، وورد ذلك في أربعة مواضعٍ من القرآن الكريم، وهن:

ـ **الموضع الأول/** في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤﴾ [ البقرة : ٧٤]، يقول ابن عطية: "ووحد الضمير في ﴿منه﴾ حملا على لفظ (ما)، وقرأ أبي بن كعب والضحاك (منها الأنهار) حملًا على الحجارة"(٧)، فجاء في هذا الموضع ما يستلزم التذكير .

ـ **الموضع الثاني/** في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾ [النساء:٤]، وإنما جاء الضمير على صيغة المفرد المذكر؛ لأجل الحمل على المعنى، لأن الصدقات تحمل في لفظها معنى (الصداق)، أو (الإيتاء)، أو اسم الاشارة (ذلك) فيكون المعنى: عن شيء من ذلك، فجاء في هذا الموضع ما يستلزم التذكير.

ـ الموضع الثالث/ قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ٦٧﴾[النحل:٦٧]، حيث عاد الضمير مفردًا مذكرًا؛ ليدل على مفرد، فهو ليس كناية عن ﴿ثَمَرَٰتِ﴾ مباشرة، وإنما لشيء يتعلق بها، فقيل فيه: أنه يعود إلى مضمر، قدره بعضهم بـ (الشيء) فيكون (شَيْءٌ تَتَّخِذونَ مِنْه سَكَراً) وبعضهم قدره بـ (ما) فيكون التقدير: (مَا تَتَّخِذُونَ مِنْهُ) وقيل: أنه يعود إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير أي: من عصيرها، فجاء الضمير في هذا الموضع مفردًا مذكرًا؛ لوجود ما يستلزم التذكير.

ـ الموضع الرابع/ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ٦٦﴾[النحل:٦٦]، وإنما جاء الضمير على صيغة المفرد المذكر؛ وساغ تخريج ذلك بكلمة (بعض) أو (ما)، أي (مما في بطون ما ذكرنا)، أو غير ذلك، فجاء في هذا الموضع ما يستلزم التذكير .

وهذه المواضع الأربعة لم أذكرها في الاستقراء في البحث، لأن عود الضمير ليس على جمع ما لا يعقل مباشرة، وإنما على شيء متعلقٌ به.

***ثانيا / النتائج المتعلقة بنعت جمع ما لا يعقل:***

**خلاصتها:** أن نعت جمع ما لا يعقل يأتي مفردًا وجمعًا، ولا يأتي إلا مؤنثًا، ولكل منها دلالته وإليكم التفصيل:

1 . إذا نعت جمع ما لا يعقل بمفرد فإنه يدل على الكثرة مطلقا، وهذا مطرد في القرآن، فمن ذلك تجد أن ما ورد في القرآن من نعيم الجنة فإن نعته جاء مفردًا، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ فِيهَا **سُرُرٞ**

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ( ١/ ١٦٧)

مَّرْفُوعَةٌ ١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ١٦﴾[الغاشية:١٤]، (قطوف-فرش-مساكن).

2. إذا نعت جمع ما لا يعقل بجمع؛ فإنه يدل على القلة، أو للفت الانتباه إلى أهمية معنى النعت، وصرف النظر عن قلة أو كثرة.

**فمن أمثلة دلالته على قلة جمع ما لا يعقل** قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [فُصِّلَت:١٦]، يقول ابن كثير: "قَوْله تَعَالَى: ﴿فِي أَيَّام نَحِسَات﴾ أَيْ مُتَتَابِعَات ﴿سَبْع لَيَالٍ وَثَمَانِيَة أَيَّام حُسُومًا﴾"(٨)، والثمانية قليلة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[البقرة:٢٠٣]، وقوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾[الحج:٢٧]، قال الطبري: "عن عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ زَيْدٍ عَنِ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ، وَالْأَيَّامِ الْمَعْلُومَاتِ، فَقَالَ: (الْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ، وَالْأَيَّامُ الْمَعْلُومَاتُ: يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ)"(٩)، وفي كلا الموضعين دل جمع ما لا يعقل على القلة.

**ومن أمثلة لفت الانتباه إلى ما في النعت من معنى** قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ١٣﴾ [سبأ:١٣]، حيث جاء النعت جمعا؛ للفت الانتباه إلى عظمة ما تَعْمَلُه الجنُ لسليمان عليه السلام، لا إلى قلة وكثرة، يقول البغوي: "﴿ وَقُدُور رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثَابِتَاتٍ لَهَا قوائم لا يُحَركن عن أماكنها لِعِظَمِهن ولا يُنزَلن ولا يعطَّلن، وكان يُصعد عليها بالسلالم"(١٠).

وكذلك كلمة: (آيات) في القرآن -التي يقصد بها آيات القرآن الكريم المتلوة- فإن نعتها لا يأتي إلا جمعًا مطلقًا، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ١٦﴾ [الحج:١٦]، وذلك لأن الأصل في إنزالها هو العلم والعمل بها، وليس النظر إلى قلة أو كثرة. **فهنا ناسب مجيء النعت جمعا لهذا المعنى.**

وهذا بخلاف الآيات الحسية من معجزات أو آيات كونية؛ فإن نعتها يأتي مفردًا؛ لدلالة الكثرة، كقوله تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ٢٣﴾ [طه:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ١٨﴾[النجم:١٨]، والمقصود بـ (الآيات) هنا؛ الآيات الحسية، بدليل قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ - لَقَدْ رَأَىٰ﴾، والآيات الحسية تأتي على سبيل القلة والكثرة، ودل على كثرتها؛ مجيء النعت مفردًا، أما القول لتناسب رؤوس الآي؛ فهذا كلام فيه نظر.

وكذلك لو نظرنا إلى الآيات الحسية إذا كانت قليلة فإن نعتها يأتي جمعًا، ومن ذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا١٠١﴾

(٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٤/ ٨٦)
(٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ( ٣/ ٥٥٣)
( ١٠) معالم التنزيل للبغوي ( ٦/ ٣٩١)

[الإسراء:١٠١]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ **ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ** فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣﴾ [الأعراف:١٣٣]، فهنا جاء النعت جمعًا لمناسبة القلة.

***ثالثا / نتائج عامة:***

١. وضوحُ علةِ المعادلةِ في النعت والضمير؛ وذلك أنَّ دلالةَ جمع ما لا يعقل على الكثرة - أيًا كانت صيغتُه- يكون معها النعت مفردًا، وكذلك يعود عليه الضمير مفردًا، وهذا ظاهرٌ ومطردٌ في القرآن، كما هو ظاهرٌ ومطردٌ في تمييز العدد.

٢. دقةُ أساليب اللغة العربية وقوتُها، وذلك من خلال انضباط كثيرٍ من قواعدها واطرادها، وأنه لا تتغير لفظةٌ بلفظةٍ إلا لدلالة؛ وخاصة في القرآن الكريم، كما أنه لا يوجد في القرآن الكريم لفظة اعتباطية أو لفظة يمكن استبدال غيرها بها دون تَغَيُّرِ المعنى مطلقًا.

- **مناقشة وتفسير النتائج:**

هذا المبحث بمثابة تطبيقٍ لأثر تلك الدلالة على خلافات المفسرين، والترجيح بين أقوالهم، وسأعرض في هذا المبحث بعض تلك الخلافات، وسيكون هذا المبحث على ثلاثة أقسام، مراعيًا في ذلك؛ تقسيم فصول البحث:

**** القسم الأول: الأثر المتعلق بعود الضمير على جمع ما لا يعقل في الترجيح بين المفسرين.***

بعد الاستقراء لعود الضمير على جمع ما لا يعقل في القرآن الكريم؛ تَبَين أن جمع ما لا يعقل إذا دل على الكثرة؛ عاد عليه الضمير مفردًا مؤنثًا، وإذا دل جمع ما لا يعقل على القلة أو أُنزل منزلة العاقل عاد عليه الضمير جمعا، وسنُورِد هنا مثالا جاء فيه خلاف بين المفسرين؛ لنرى أثر هذه القاعدة في الترجيح.

- في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ **عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ** وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [لقمان:١٠]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ **عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ** ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ [الرعد:٢]

وفي هاتين الآيتين قولان للعلماء:

١- أن الضميرَ في ﴿تَرَوْنَهَا﴾ عائد على السموات، وعلى ذلك يكون المعنى: أن الله خلق السموات بغير عَمَدٍ، وكذلك ترونها؛ أي السموات.

٢- أن الضميرَ عائدٌ على العمد؛ فيكون المعنى: إنها بِعَمَدٍ لَا تَرَوْنَهَا. أي لا ترون تلك العَمَدِ.

والراجح بحسب ما اقتضاه البحثُ ونتائجُه من خلال الاستقراء العام للقرآن فإن الضمير يعود على (العمد)؛ وذلك لأن الضميرَ مفردٌ مؤنثٌ، ففيه دلالة الكثرةِ، والكثرة في هذا الموضع متناسبة مع العمد، وغير متناسبة مع السموات؛ فالسموات سبع، والعمد قد تكون كثيرة بدليل اتساع السموات، وهذا فيه لفتة تربوية وحكمة إلهية؛ وذلك أن للأسباب اعتبارًا؛ فالخالق سبحانه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وهو قادر على أن يقول لهن كُنَّ فتكون،

ولكن اقتضت حكمته أن يكون لخلقهن ذلك العددُ من الأيام؛ فلم لا يكون للسموات عمد!، تكون سببًا في ارتفاعهن؛ وهو سبحانه خالق السبب والمسبب.

- ومما يساعد على تقوية هذا القول:

١. أن الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه.

٢. لم يأتِ في القرآن لفظة ( السموات ) وعاد عليهن الضمير بالإفراد البتة، وإنما عاد عليهن الضمير جمعا مؤنثا في القرآن كله .

**** القسم الثاني: الأثر المتعلق بنعت جمع ما لا يعقل في الترجيح بين المفسرين***

مما تبين معنا فيما سبق؛ أن جمع ما لا يعقل إذا دل على الكثرة؛ فإن نعته يكون مفردًا دائمًا، وهذا مطرد في القرآن، وأما إذا دل على القلة، أو خرج إلى معانٍ أخرى غير القلة والكثرة؛ فإن نعته يكون جمعًا، وسنُورِد في هذا القسم مثالا جاء فيه خلاف بين المفسرين؛ لنرى أثر هذه القاعدة في الترجيح بين أقوال المفسرين:

- في قوله تعالى: ﴿**ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ** ١٦﴾ [التكوير:١٦]

ورد في هذا الموضع جمع ما لا يعقل ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾، وجاء نعته جمعًا، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلۡكُنَّسِ﴾، واختُلِف في معنى (الجواري الكنس)، على عدة أقوال:

١. أنها الدراري السبعة: الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري.

٢. أن المراد الخمسة دون الشمس والقمر.

٣. أن المرادَ النجومُ كلُّها؛ لأنها تخنس بالنهار حين تختفي.

٤. أنها بقر الوحش لأنها تفعل هذه الأفعال في كناسها، وهي المواضع التي تأوي إليها من الشجر والغيران ونحوه. ومنهم من قال: هي الظباء وذهب هؤلاء في الخنس إلى أنه من صفة الأنوف لأنها يَلزمُها الخنس وكذلك هي بقر الوحش أيضا.

والأقرب إلى الصواب - والله أعلم - قول من قال: أنها الدراري السبعة أو من قال: الخمسة دون الشمس والقمر، والقول الأخير أقرب، وهو قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومما يقوي هذا القول:

١. كونهن جاريات؛ فمسارهن الجري، بخلاف البقر والظباء فمسارها الرعي.

٢. ذكر الليل والصبح بعدهن، وهو سبب رؤية الكواكب واختفائها.

٣. عظمة خلقهن، فهن أعظم خلقًا من البقر والظباء.

٤. أن الشمس والقمر لا تخنس؛ بل تغيب، وهي سبب في رؤية واختفاء بقية الكواكب.

وعلى ذلك فإن مجيء النعت جمعًا مناسبٌ لعظمة خلقهن وقلة عددهن، فلا يقسم المولى سبحانه إلا بعظيم، وشتان بين البقر والكواكب الدراري.

**** القسم الثالث: الأثر المتعلق بالنعت وعود الضمير - مجتمعين - على جمع ما لا يعقل في الترجيح بين المفسرين***

في هذا القسم لا يوجد إلا مثالٌ واحدٌ، ورد فيه خلاف بين المفسرين، وهو قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ **ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ** أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران:٧]

وبالنظر إلى أقوال العلماء في هذه الآية، نجد أن منهم من فسر المحكم والمتشابه، ومنهم من حدد المحكم بآيات، ومثل للمتشابه، ولكننا لو طبقنا ما اطرد معنا في هذا البحث، لوجدنا أن الآيات جاء نعتها جمعًا؛ للفت الانتباه إلى ما فيها من معنى ومقصد ذاك النعت: وهو الإحكام (محكمات)، وهذا ما اطرد مع كلمة (الآيات) - التي يقصد منها آيات القرآن المتلوة - في القرآن كله؛ فإذن هذه الآيات ناسب مجيء نعتها جمعًا لذلك السبب، أما عود الضمير عليها جمعًا ففيه دلالة جمع ما لا يعقل على القلة مطلقا في القرآن كله، وعلى ذلك فإننا نجد أن أقرب الأقوال إلى هذا المعنى قولان:

- **القول الأول/** أن الآيات المحكمات هن ثلاث آيات في سورة الأنعام، قاله ابن عباس، وعلل لذلك مقاتل بقوله: "﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ﴾ يعنى أصل الكتاب لأنهن فِي اللوح المحفوظ مكتوبات وهن محرمات عَلَى الأمم كلها فِي كتابهم. وإنما تسمى أم الكتاب لأنهن مكتوبات فِي جميع الكتب التي أنزلها اللَّه- تبارك وتعالى- عَلَى جميع الْأَنْبِيَاء، وليس من أَهْل دينٍ إِلَّا وَهُوَ يوصي بهن" [1].
- **القول الثاني/** أن الآيات المحكمات هن الفاتحة، وهو قول أبي عثمان أورده القرطبي، وكذلك جاء في ذكر أسمائها عند ابن رجب ما نصه: "الاسم الثاني: أم الكتاب، ففي «المسند» و«سنن ابن ماجه» عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقولُ: (مَنْ صَلَّى صلاةً لم يَقْرَأ فيها بأمِّ الكتابِ فهي خِدَاجٌ). وفي «سنن أبي داود» من حديث أبي هريرة: (﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أمُّ القرآن، وأمُّ الكتاب، والسَّبعُ المثاني). وقد سمَّاها ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه: أمَّ الكتاب، وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَ أُمِّ الْكِتَابِ، وَهِيَ

(١) تفسير مقاتل بن سيما ن( ١/ ٢٦٣)

السَّبْعُ الْمَثَانِي".[١]

**والأقرب للصواب - والله أعلم - القول الثاني، ومما يقويه:**

١. ورود أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسمية الفاتحة بأم الكتاب.

٢. قال به بعض العلماء.

٣. اطراد قاعدة النعت وعود الضمير على جمع ما لا يعقل في هذه الآية على هذا القول.

- **توصيات واقتراحات:**

أن مسألةَ دلالةَ صيغةِ الجمع على قلة أو كثرة فيها نظر، وتحتاج إلى بحث مستقل، وذلك لعدم اعتبارها مع النعت والضمير.

أن في تنوع أساليب القرآن الكريم دلالات ومعانٍ تحتاج منا إلى بحث وتأمل، وهذا مجال خصب في البحث اللغوي.

## وأخيرًا ....

فهذا جهد المقل، وبذل المقصر، فهو عرضة للخطأ والنقص، فإن وفقت فالفضل لله وحده، وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت، وعبدت هذا الطريق الذي لم يسلكه أحد قبلي على هذا النحو، وبذلت قصارى ما عندي، وما توفيقي إلا بالله؛ عليه توكلت وإليه أنيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد الغر الميامين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) صحيح ابن خزيمة (١/ ٢٨١)

## قائمة المصادر

١. أسرار التكرار في القرآن المسمى (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، محمود بن حمزة الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.

٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: د/ عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر.

٤. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين عمر (ت ٦٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٥. تفسير البغوي معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م .

٦. تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، صحح بإشراف: الشيخ خليل الميس، دار القلم، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية.

٧. تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ)، تحقيق: د/ عبد الله محمود شحاته، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٨. صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ)، تحقيق: د / محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م .

٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ( ت ٥٤٦هـ )، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م .

١٠. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: د/ عماد الدين بن سيد آل الدرويش، عالم الكتب، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م .

١١. المفصل في صنعة الإعراب، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: د/ محمد محمد عبد المقصود، د/ حسن محمد عبد المقصود، دار الكتاب المصري، القاهرة - مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .